

## الأخلاق الاجتماعية عند أوجيست كونت

Title in English: Social Ethics of Auguste Comte

فاطمة المومني

Fatma Mourni

<sup>1</sup> المعهد العالي للعلوم الاجتماعية والتربية قفصة، البلد: تونس

fatma.mourni@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/05 تاريخ القبول: 2021/12/18 تاريخ النشر: 2021/12/31

**ملخص:** الإنسان "مسؤول اجتماعي" وهذا ما تنتجه إليه كل التربية الوضعية، وتعطي الفلسفة الوضعية معنى متطابقاً تقريباً للكلمات الاجتماعية والإنسانية من منظور المجتمع، حيث يصبح "المسؤول الاجتماعي" موظفاً مدنياً لـ "الإنسانية"، لأنه مندمج في علاقات الطاعة والواجب والالتزام المتفق عليه، الشخصية ليست حرية فردية، يتم استيعابها في التواصل الاجتماعي. أنثروبولوجيا "كونت" هي اجتماعية، وهي محكومة بفكرة النظام العلمي الذي تنتجه الإنسانية، والنظام الجماعي الذي يفرضه المجتمع، ومع ذلك، يجب على الفرد أن يدرك نفسه في علاقته مع المجتمع، ويجب أن يشعر برباط من الانسجام والالتزام بمساهمة مجتمعه والإنسانية. ما وضعه كونت وهو نظام ديني جديد هو (الدين الوضعي) هذا الدين حول عبارة الإنسانية كفكرة. أي أن فكرة الإنسانية تحل في نظرة محل فكرة (الله) في الديانات.

**كلمات مفتاحية:** الأخلاق الوضعية- علم الاجتماع- دين الإنسانية- أوجيست كونت- الفرد- الإنسان

**Abstract:** Man is a "social responsible" and this is what all positive education is directed to, and positivist philosophy gives an almost identical meaning to the social and human words from the perspective of society, where the "social responsible" becomes a civil servant of "humanity", because it is integrated into the agreed relationships of obedience, duty and obligation. Personality is not individual freedom; it is assimilated into social communication. What Comte put in place, a new religious order, is "positive religion", this religion around the phrase "humanity" as an idea. In other words, the idea of humanity replaces the idea of (God) in religions.

**Keywords:** Positive ethics –Sociology- The religion of humanity- Auguste Comte - The individual- Human.

المؤلف المرسل: فاطمة المومني، الإيميل: [fatma.mourni@yahoo.fr](mailto:fatma.mourni@yahoo.fr)

## مقدمة:

إن الإنسان عاجز عن العيش بشكل منعزل بعيد عن الجماعة وهذا ما دفع به إلى العيش داخل المجتمع بفضل روح الترابط الاجتماعي، وهي خاصية جوهرية يتميز بها الإنسان عن باقي الأنواع الأخرى، كما يتميز الكائن البشري بالاهتمام المتبادل ببعضه البعض والاعتمادية الهائلة على بعضه البعض مما جعل مجتمعه قابلاً للتغير بشكل مستمر والدليل على ذلك قدرة الإنسان على خلق مجتمعات متنوعة الأشكال وشديدة التعقيد.

ولأن التفلسف مرتبط بتفكير الإنسان والاستغناء عنه يعني الاستغناء عن التفكير وهذا لا يصح، لأن الفلسفة تفكير بالأساس بهذا فإن الفلسفة كتفكير كثير ما ساهمت في تغيير أوضاع الإنسان لان فعل التفلسف هو الذي يحرك النشاط الفكري عند الإنسان ليتناول بالدرس والتحليل كل المفاهيم كالتاريخ، المعنى، المعرفة و الأخلاق...

لقد شكل مبحث القيم هاجسا فلسفيا متواصلا منذ اللحظة السقراطية وصولا إلى اللحظة النيتشوية مع اختلاف في تنزيلها والتفكير فيها. لكن هذا المبحث ظل منظويا ضمن الاهتمامات الأنطولوجية والميتافيزيقية للنظريات الفلسفية. لذا وراء كل سلوك توجد قيمة تلعب دور المحرك بالنسبة للفعل وتفضي عليه صبغة المشروعية. ومن ثمة ليس عالم الإنسان عالم وقائع بل هو موضوعات الواقع لتلبية حاجاته وإشباع رغباته ويرتبط بقيم ومثل عليا توجه أفعاله وتحقق مصيره كإنسان.

أصبحت فلسفة الأخلاق عند الوضعيين و نقصد بالذكر الفيلسوف الفرنسي أوجيست كونت علم واقعي يدرس العادات متأثرين بالمنهج الاستقرائي في البحث العلمي. ثم أصبحت جزء من علم الاجتماع الذي يسعى لإقامته علما واقعيا تجريبيا. و تظهر أهمية الأخلاق الوضعية كما أشار إليها كونت و ذلك بما أنها تقوم على أساس العلم الوضعي بحيث تصبح حقيقية أي تقوم على الملاحظة و تنظر إلى الإنسان كما هو كائن بالفعل. بحيث تغلب الترة الاجتماعية على الشخصية الفردية وتغلب العاطفة الاجتماعية بشكل مباشر في المذهب الأخلاقي لكونت، فإنه يؤكد وجود الميول "الغيرية" وجودًا فطريًا في النفس البشرية، ويسمي هذه الميول (المودة).

## 1- الأخلاق الوضعية

إذا نظرنا إلى معنى قولة لأجيست كونت « Agir par affection, et penser pour agir » (Comte, 1854, p.685)

بحيث سيدرك المرء أن مصطلح المودة يشير إلى الارتباط الذي يشعر به المرء تجاه شخص يثيره الفعل، و تغطي العاطفة على وجه التحديد فكرة "المحرك العاطفي" في النشاط الدائم: "تضمن الحياة العاطفية وتنسق كل الوجود" (Deherme, 1924, p.195)، والتي تصف فقط: "الانسجام العام بين الحياة العاطفية والحياة التأملية والحياة النشطة في ما إنه يقدم قواسم مشتركة لجميع طبائع الحيوانات"، (كونت، 1851، ص 685) و يخلص كونت إلى أن الوضعية تميز وجودنا بالكامل مما يتطلب توازناً.

إن "الجدول الدماغي" يهتم بصفة عامة ب les facultés affectives؛ فيساعد بذلك على فهم المعنى الأساسي للنظرية الذاتية للدماغ، إذ يسعى كونت إلى إظهار كيف أن نظرية الدماغ ونظرية المجتمع لها نفس الهدف في تحديد الطبيعة البشرية، إما في فرديتها البيولوجية، أو في تطورها الجماعي، و لدراسة العلاقة بين الجسم والدماغ، يجب إعطاء وظيفة "الوسيط" للعضو الدماغي أهميتها ودورها في نظرية الوجود الذاتي، لذلك يتم تنظيم هذه العلاقة وفقاً للترتيبات الثلاثة للأعصاب: ترتبط الأعصاب الحسية والحركية بمناطق nerfs végétatifs، وترتبط بالمنطقة العاطفية في وظيفة دائمة، بينما تتمتع المحركات الأخرى بوظائف متقطعة.

تبنّى كونت نظرية الدماغ التي اخترعها Gall، وعرفها بأنها دراسة شخصية ووظائف الإنسان وفقاً للتشكيل الخارجي للجمجمة، وهذا يعني أن علم فراسة الدماغ، المعروف أيضاً باسم "cranioscopie" بنفس المعنى الذي أعطاه إياه Gall، من الممكن بعد ذلك التعرف على العديد من التصرفات الفكرية أو الأخلاقية للإنسان أو الحيوان، ويؤدي به إلى السبات العقلي والأنانية، فيجب على الإنسان أن ينشر الغرائز العاطفية المضغوطة فيه، وأن يخضع العقل للعاطفة.

يعتمد كونت على Gall لهذا الغرض، وقد تمّ تطوير نظرية Frantz Joseph Gall هذه في بداية القرن التاسع عشر. تعود فكرة علم "فراسة الدماغ" إلى Spurzheim منذ عام 1800، ولكن ما يميز

Gall عن Spurzheim هو حقيقة التصنيف، و يدیر Spurzheim حقًا تصنيفًا des facultés يقوم بعمل تمييزات منفصلة، ويتقدم حسب الترتيب والجنس كما هو الحال في تصنيفات علماء الطبيعة هذا من ناحية، و من ناحية أخرى يقدم Gall قائمة من الوظائف: تحليل اللغة العادية ، والنظر إلى الرؤوس ، وبناء مجموعات من الجماجم من أجل إنجاز طريقة ثابتة من خلال التسلسل.

أما بالنسبة لكونت مبدأ هذه الطريقة: "يخضع التشريح بشكل منهجي لعلم وظائف الأعضاء"، حيث التوليف من خلال العاطفة ضروري للإنسان لحياته الفردية ، والتي لها معنى فقط من خلال حياته الاجتماعية، فالازدواج الاجتماعي العاطفي الذي يجب أن يتحكم في سلوك الجميع . يؤكد كونت أنه لا توجد وظائف بدون أعضاء ، فالموقع الفسيولوجي لمركزية الغرائز هو الدماغ ، ويقارنه بالماكينة، ويتكون من مجموعة من وظائف الدماغ المتضاربة في الواقع ، و وفقًا لكونت ، فإن وظائف الدماغ عاطفية وفكرية ونشطة.

يُظهر كونت ، في الدرس الخامس والأربعين من كتاب "دروس في الفلسفة الوضعية" "علم وظائف الأعضاء الدماغية" كمرادف لـ "علم فراسة الدماغ الفسيولوجي" ، فيطور موقفه فيما يتعلق بتعريفه لـ "علم وظائف الأعضاء العام" ، والذي لم يعد مجرد دراسة مكونات الكائنات الحية ، بل هو نهج قائم على التجريب ، على النهج المقارن بين الحالة الصحية والحالات المرضية.

بالنسبة لأوجيست كونت ، يعمل المجتمع وفقًا للإحساس بالالتزام ، أي أن كل فرد يؤدي واجبه بطريقة متبادلة، و يؤكد كونت على أن العقل يجب أن يكون خادماً للقلب يعني أن العقل يتميز بغلبة القلب: هذه الحالة المنطقية ، حيث يصبح العقل، بدلاً من أن يكون خادماً للقلب البسيط يكون عبداً خالصاً له.

و وفقًا لكونت، كل الوجود الإنساني الفردي والجماعي موجود في نفس الوقت في ثلاثة أوامر للظواهر التي تميزه: الأفكار والمشاعر والعقل معتقداً أن التطور الفردي والاجتماعي يتكون من نمو العقل الذي يعمل على العواطف ، وكذلك في جميع المشاعر التي تحركها الأفكار، ولكن منذ عام 1848 أعطى أهمية كبيرة للمشاعر، حيث ستكون الفلسفة أخلاقية قبل كل شيء وستطلب الحب كمبدأ.

يعتبر الشعور الزوجي (sentiment conjugal) أقوى شعور إذ يلعب الدور المركزي على المستوى الاجتماعي، فهو دور معتدل يغذي القوة الروحية، و للقيام بذلك يجب تعليم الإنسان كيفية الاستفادة من

هذا الحب و استخلاص دور المرأة كمعلمة ، وتخضع لنفس التعليم الذي يخضع له البروليتاري حتى يخضعوا العقل إلى القلب، أو بعبارة أخرى يمكن أن يصل الحنان الأثنوي إلى أبعاد علمية ، يجب أن تستحوذ أخيراً على الإنسانية ، أي أن المرأة في قلب الإنسانية قد نشأت إلى رتبة كاهنات Prêtresses عفوية جنباً إلى جنب مع الفلاسفة الذين هم كهنة منظّمون دورهم هو تصحيح إساءة استخدام العقل حتى بين الفلاسفة أنفسهم (كونت، 1848 , ص300 ). يذكر كونت أن للمرأة دوراً راجحاً في حكم القلب، ولهذا السبب يتم توجيه التعليم الوضعي إلى المرأة أولاً وقبل كل شيء لتجديد البشرية: فهي بطبيعة الحال أكثر إثارة وبالتالي فهي أكثر قدرة على الفهم، حتى من الناحية الفكرية والوضعية. تصبح الإنسانية هي الوراثة التي تأتي من الطبيعة، والتقاليد، التي هي جزء من التاريخ: من خلال الوراثة، كل دماغ هو المستودع لجميع أصول جنسنا، من خلال التقاليد يتم تزويدنا باللغة وهذا التعليم التلقائي الذي يدخلنا في النظام البشري. تعتبر الوحدة الدماغية مهمة لتأسيس اتصال اجتماعي هو الوسيلة المناسبة للإنسانية.

يطور كتاب Catéchisme positiviste المفهوم النهائي لدين الإنسانية، والذي تمّ الإعلان عنه من خلال الاستنتاج العام للخطاب، وتحدد عقيدة هذا الدين وحدتنا الحقيقية، التي تتكون من العيش من أجل الآخرين، وحيث يكون الحب مبدأً عالمياً، فإن العبادة تنمي المشاعر التي تتطلبها مثل هذه التصرفات والنظام هو المبدأ الوحيد للتناغم الشامل.

نلاحظ أن العقل تحكمه العواطف، و لا يمكن للعقل وحده أن يشكل دافعاً لعمل الإرادة، إذ يبدو أن هناك العديد من العلاقات، بقدر ما يأخذ الفهم في الاعتبار العلاقات المجردة بين الأفكار ، في حين أن الإرادة تضعنا دائماً في عالم الواقع ، كما يبدو أيضاً أن الإثبات والإرادة منفصلين تماماً عن بعضهما البعض ، فإن المنطق التجريدي أو التوضيحي لا يؤثر أبداً على أي من أفعالنا باستثناء من خلال توجيه حكمنا فيما يتعلق بالأسباب والنتائج.

في كتاب Système de politique positive ، يعلن عن فكرة التوليف عن طريق القلب، حيث يرتبط التوحيد بكل الوجود البشري، وحيث لن يضطر العقل بعد الآن إلى الوقوف في طريق المشاعر، بل

على العكس سيكون خاضعاً لها، لهذا ، يشير إلى ديدرو و كوندورسيه على أنهما أولئك الذين أثروا عليه في نهجه الفلسفي الجديد ، وهو نهج يبدأ من الإنسان إلى العالم ومن الداخل إلى الخارج.

في الفلسفة الوضعية لأوجيست كونت ، "العيش من أجل الآخرين" يقع في قلب الأخلاق الوضعية التي تجعل التواصل الاجتماعي يسود على الشخصية، ويفترض أن كل نشاط يسترشد بالحب نحو الانسجام الشامل، كما توفر الأفكار الأخلاقية الطبيعية "علاجاً" لانحياز عواطفنا، إنهم يتفقون مع هذا التحيز ويمنحونه "قوة" و "تأثيراً" إضافيين. الشعور الأخلاقي هو اللذة التي تنشأ من تفضيل الخير، وهذا الشعور الأخلاقي هو انطباع انعكاس مرتبط بعمليات وعواطف طبيعتنا.

تتطلب الحياة الاجتماعية إعادة تجميع الأفراد، لإنشاء أنظمة التفكير العقلاني، ولكنهم في نفس الوقت سيكونون قادرين على الانقلاب على أنفسهم والاهتمام بذاتهم ، وبالتالي التحول إلى مشاريع جمالية و للاستمتاع بالهدوء والسكينة الداخلية الخاصة بهم، هذا هو السبب الذي جعله يقول ، في *Système de politique positive* ، إن: "العيش من أجل الآخرين" (كونت، 1848، ص 126) يصبح الملخص الطبيعي لكل الأخلاق الإيجابية ، والتي يجب أن تحدد البيولوجيا بالفعل بالمبدأ العالمي.

الثقافة تفتقر إلى العاطفة ، وتتدخل في غرائزنا وبعدنا البيولوجي الاجتماعي ، وتتطلب تنشيط الحس الأخلاقي. يتلخص مبدأ الأخلاق Comtien في "العيش من أجل الآخرين" الذي يجعل الحياة البشرية حياة مرتبة بالحب بالمعنى العام للكلمة، وبالتالي فإن الأخلاق الاجتماعية هي شكل من أشكال الدين ، فهي تنظم الحياة الفردية والجماعية، وتثير تبجيل الإنسانية، إنه قائم على الإيمان بالإنسانية، "الإله الجديد" الذي يعيش في التاريخ، فتصير الأخلاق والروحية إلى الالتقاء عند كونت.

كما يمكن الإشارة إلى أن علم الاجتماع هو شرط أساسي للأخلاق التي تُفهم على أنها دراسة الفرد كحامل للقيم الجماعية، والشئ نفسه ينطبق على كونت ، الذي تنتمي إليه الأخلاق في مجال الشعور الذي لا يمثل سوى وعي ردود الفعل التلقائية للكائن الحي.

اقترب كونت من مشكلة الأخلاق في سياق الدراسة العامة للظواهر البشرية، يجب أن نضيف أن نظرية كونت في الأخلاق تظهر على أنها: "علم الإنسان الفرد"، والغرض منه هو الأفعال ، ويهتم بمشاعر الملازمة

الشخصية والخلاف، والتقدم الحقيقي الذي أحرزه توليف التنظيم البشري هو محاولة التوفيق بين الأخلاق الفردية والجماعية. تخضع نظرية كونت الأخلاقية، الراسخة في الجسد والانطباعات التي تنبع منه، للقاعدة التي تتطلب تنظيم الغرائز الداخلية من الخارج أو المجتمع والعالم.

حدّد كونت الأخلاق الشخصية التي يتم نقلها من الأسرة، بحيث تنتهي القيم العائلية بالانتشار في جميع أنحاء المجتمع، والغرض من الأخلاق النظامية هو الحصول على هذا الشعور المؤلف في كل مكان. يتكون المجتمع من العائلات والأفراد ويؤكد كونت خضوع القوانين الاجتماعية للقوانين البيولوجية، وغرائز الحفاظ على الذات الأنانية تتحول تدريجياً في الأسرة إلى ارتباط روحي أمومي، وتقارب المشاعر والغرائز الشخصية هو أصل تكوين النواة الأولى للمجتمع، إذ يخضع الأطفال للمجتمع مع الأم، ثم مع الزوجين، اللذين سيشكلان بالفعل أصغر عنصر في المجتمع، فيقول: "لذلك يظل الجسم الجماعي مكوناً بشكل أساسي، أولاً وقبل كل العائلات التي تشكل عناصره الحقيقية: الطبقات أو الطوائف التي تشكل أنسجتها الخاصة، وأخيراً المدن أو البلدات التي هي أعضائها الحقيقية". (كونت، 1848، ص 345)

من خلال هذه الآراء، لا يمكن للمرء أن يشك في وجود المشاعر الاجتماعية أو الإيثارية، والتي تأسست وفقاً للنظام البيولوجي الذي هو مشاعر أنانية مثل: الحب الأبوي، والحب الزوجي، والصدقة الأخوية. بالنسبة لكونت، المرأة هي الأساس الأخلاقي للأسرة، فتفوقها العاطفي بمنحها تلقائياً هذه المسؤولية الرئيسية، وهذا هو سبب اعتراف أوجيست كونت بهذا التفوق الأنثوي على النشاط الذكوري: "تتلخص النظرية الإيجابية للأسرة البشرية أخيراً في تنظيم التأثير التلقائي للشعور الأنثوي على النشاط الذكوري" (كونت، 1848، ص 340). يطرح كونت مشكلة فقدان حيوية المشاعر الاجتماعية التي تزداد كرامتها تدريجياً وتفقد الحيوية، وتظهر المودة الاجتماعية في مسار الفلسفة الإيجابية كعمل "نبذ" منطقي للغريزة الأنانية.

يُظهر كونت هنا أن الشعور الاجتماعي الذي يُحمل على أكثر العلاقات قرباً أو على العلاقات الوثيقة هو حيوي يكتسب في الامتداد والكرامة، لكنه يذبل، كما تنقل الأخلاق المنهجية التجديد النهائي تحت التنبؤ

بالحرية، وبالتالي للمكانة المعطاة للشخصية والغرائز الأنانية. يتمثل دور الأخلاق النظامية في نشر المشاعر الخاصة في كل مكان، بحيث تجدد الشخصية الانسجام مع التواصل الاجتماعي.

## 2-الفرد من صنع المجتمع

يشير أوجيست كونت في كتابه Cours de Philosophie Positive ، إلى أن التضامن يتميز بالقدرة على العيش في المجتمع. تكتسب إحساسًا بالواجب تجاه الأسرة والأمة الإنسانية و "الالتزام المتبادل". يستخدم كونت مفهوم التضامن ليعين أنه لا يوجد لفرد، هناك مجتمع. هناك شرط أساسي يوجه العلاقات بين les hommes لأننا لسنا أحرارًا من المجتمع ، والفرد غير موجود ، وهناك مجتمع ، وهذا يعني الارتباط العاطفي ، والتقسيمات المهنية في العمل ، و تلك التي تحدد الكفاءات ، فضلاً عن الترتيبات المتبادلة مع المجتمع ككل التي تسمح لنا بالتبادل والتواصل مع الآخرين ، وبهذا المعنى ، يعتبر كونت في Système de politique positive "كل مواطن مهما كان شكله الفعلي لموظف عام تحدد صلاحياته المحددة إلى حد ما الالتزامات والمطالبات" (كونت، 1851، ص. 156).

يرتبط الإنسان بالإنسان أولاً وقبل كل شيء من خلال الإحساس بالواجب والالتزام المتبادل، لا يوجد أناس متضامنون مع بعضهم البعض، هناك نظام اجتماعي يحكمه النظام والوئام والديمقراطية الاجتماعية. الإنسان مجرد إنسان لأنه يعيش فيه. علاقته بالآخر، هي علاقة التزام متبادل يتوسطه الكل-الاجتماعي نلاحظ أنه في نصوص Comtien ، يُنظر دائمًا إلى الفرد في علاقته الاجتماعية. من أجل ذلك، يجب مراعاة الوجود البشري كله، الفردي والجماعي في نفس الوقت في الأنظمة الثلاثة للظواهر التي تميزه: المشاعر والأفكار والأفعال.

أسس كونت في المجتمع فصلاً بين القوة الزمنية pouvoir temporel والقوة الروحية pouvoir spirituel القوة الزمنية هي قوة الحاضر دون أي جذور في الماضي أو السيطرة على المستقبل؛ إنه عضو في التضامن الاجتماعي. الوظائف الموكلة للسلطة الزمنية هي وظائف الإدارة المادية لشؤون الدولة ، أي ضمان النظام العام وتوجيه الاقتصاد. أو التصرف بحزم ضد الاختلافات الاجتماعية، للقوة الروحية دور



قضائي. لها تأثير فكري وأخلاقي على أفراد المجتمع والعائلات والمدن من خلال دورها التأملي ووظيفتها التربوية. التضامن هو ما تتم من خلاله عملية الإنسانية.

يثير كونت مسألة التضامن العالمي كجانب مهم من فلسفته. ويعود اضطراب الكل أيضًا إلى الفردية المشتتة ، والحروب ، وإحياء اللاهوت ، الذي يعتبر التضامن بمثابة إثارة (حب الآخرين ، دون أخذ) والحب كمبدأ عالمي. التضامن في الأساس هو تماسك بين الفردية والتواصل الاجتماعي من خلال إطلاق الغرائز ودعم المجتمع لها ، الإنسان كائن اجتماعي بيولوجي ، يجب أن يطلق العدوان فيه ، ويطلق حياته الجنسية. إحساسها بامتلاك غرائزها الغذائية والتواصل معها من خلال الحب (وهو العاطفة والطاقة). التضامن مفيد للتوازن النفسي والعاطفي للأفراد، فهو يكتسب بُعدًا نفسيًا، ويعيش للآخرين من أجل العيش (الشخص الذي لا يجب أي شيء هو عرضة للسقوط أو البلاء). يجمع Comte بين الاستبداد الفردي وعلم الأمراض. يقدم كونت جانبًا آخر للتضامن الذي يستمد من الأطباء النفسيين الذين أسسوا العلاج الأخلاقي ، وهما Pinel و Esquirol.

التضامن في تعبيره العام هو تماسك كل فرد مع الإنسانية والشيء العظيم في مساهمته في العلم والقيم والإبداع الجمالي، إنه رابط لمشاركة الأفراد في المساهمة الإنسانية. إنها مساهمة الإنسان المتحد مع الإنسان من أجل ضمان الحياة ضد الموت ، لمواجهة العناية الإلهية وروحها العدوانية والاستعمارية من خلال تولي البشر مسؤولية مصيرهم بفضل الحب العالمي l'amour universelle وهو امتداد للتضامن الأساسي للأسرة الجزئية مع البشرية جمعاء والذي أطلق عليه كونت: "الأخوة العالمية" «fraternité universelle». سيؤدي هذا سياسيًا إلى مبادئ الحكم الذاتي والتنافس بين الدول. الاستعمار والحروب هي ثمرة الفوضى التي تهدد حياة les hommes وتوازنهم العقلي، ويرجع ذلك إلى إحياء الغزو والنزعة اللاهوتية العسكرية المناهضة للتضامن. هذا ما قاله كونت في نهاية كتابه Discours sur l'ensemble du positivisme ككل.

يبدو أن الإنسان العامي شديد الاهتمام بما هو يومي وديني، إن هذا المنحى من اهتمامات الإنسان العامي هو الظاهر فقط لأن الإنسان العامي يهتم بما هو مقدس ويجعله محور اهتماماته. وهكذا شكل تأسست التجربة الدينية. فقدرة الإنسان الحديث على تغيير المعنى في علاقته بذاته وبالكون وذلك من خلال التجريد في الرؤى التي يستعملها لهذا الغرض و ما يسمح ببعث وإحياء هذا المكبوت الديني حتى يستعيد الإنسان توازنه الروحي. فبالرغم من تعدد إشكال التصورات والطقوس الدينية التي عرفها الإنسان عبر التاريخ فلم يكن موضوعا للفلسفة فحسب، وإنما تناولته الدراسات التاريخية والانثروبولوجية كظاهرة لا يخلو منها إي مجتمع إنساني.

من أولى اهتمامات الفلسفة هو السعي إلى تكوين رؤية للإنسان للعالم فالإنسان والعالم شكلا القطب المزدوج للتفكير الفلسفي وان يحضر الإنسان في العالم فهو يحضر ضمن أفق مفتوح من الدلالات والمعاني التي تشكل كقول دلالية وكرؤى متنوعة للعالم. هل علاقة الإنسان بالعالم مباشرة أم تقوم على وسائطه؟ وإذا سلمنا بالوسائط ما طبيعتها وأي انعكاس لها على الوجود الإنساني هل هي شرط تحققه أم أنها عائق يحول دون تجسيم فعاليته؟ بل وفي مسار التاريخ الغربي فقد تراجعت الفاعلية الدينية لصالح الفاعلية الإنسانية. كما تراجعت سلطة الكنيسة لحساب سلطة المواطنين. و من جهة أخرى هناك من يرى أن فصل الدين عن الدولة ما هي إلا انحراف عن طبيعة الفهم الصحيح للدين الإسلامي، ورغبة في تخلي الدين عن وظيفته في إعادة صياغة الحياة والمجتمع.

إن تاريخ الإنسان هو تاريخ المعنى الذي يضيفه على علاقته بالطبيعة وهو تاريخ البحث عن المعنى رفضا لمنزلة لم تعد تليق بالإنسان وعظمته ولعل من مظاهر رفض المعنى في العصر الحديث ما أقدم عليه الإنسان عندما أعلن عن موت الإله وبحث عن كل وضع ذا صلة بالمقدس. إن ما حققه الإنسان الحديث في علاقته بذاته وبالكون وما حققه العلم من فتوحات معرفية في تخليص الإنسان من سجن المقدس والرغبة في تفسير كل ما يحدث مرئيا بلعل لا مرئية و أمام رغبته في تخليص الإنسان من هذه التفسيرات التي قيدته وجعلته مستعبدا من طرف الطبيعة. إذ أن تفسير المرئي باللامرئي والميتافيزيقي فيه سيطرة وهمة على الطبيعة والحال إن الوضعية تطالب بسيطرة فعلية نظريا (الفهم) وعمليا (التقنية) وهو ما حققه الإنسان الحديث عندما

عول على ذاته بطرد كل مجال يتحرك فيه المقدس والمقدسات. يعيش الإنسان فتورا عاطفيا تجاه المقدس وما يتحرك في فضاءه وذلك لان الدين الذي كان يجد فيه الإنسان ملاذه أصبح عبئا على الإنسان من خلال مظاهر التوظيف الإيديولوجي للدين (الكنيسة) إضافة إلى نجاح العلم في بعض معضلات الإنسان وهو ما جعل الإنسان الحديث يعرض عن الدين وطقوسه.

بل وفي مسار التاريخ الغربي فقد تراجعت الفاعلية الدينية لصالح الفاعلية الإنسانية. كما تراجعت سلطة الكنيسة لحساب سلطة المواطنين. ومن جهة أخرى هناك من يرى أن فصل الدين عن الدولة ما هي إلا انحراف عن طبيعة الفهم الصحيح للدين الإسلامي، ورغبة في تخلي الدين عن وظيفته في إعادة صياغة الحياة والمجتمع.

تاريخ الإنسانية ، وفقاً لـ "كونت" ، مرّ بثلاث مراحل رئيسية تشمل على التوالي: التفكير ،الشعور ،ثمّ التصرف، وهذه الرؤية للمراحل الثلاث تُدخل الإنسان في عملية تطويرية تحكمها الهيمنة الذاتية والأفعال والتخيلات ضمن العلاقة التي يقيمها مع العالم، أما بالنسبة لمؤلف "دروس في الفلسفة الوضعية" ، يؤدي التقدم إلى انتصار العلم والشعور العام وأفكار السلام من حيث الفعل.

هذا الإنسان الذي صنع في النظام والتقدم هو مثل هذا فقط في المجتمع إذ لا يوجد فرد، بل المجتمع فقط هو المسيطر. الإنسان "مسؤول اجتماعي" وهذا ما تتجه إليه كل التربية الوضعية ، وتعطي الفلسفة الوضعية معنى متطابقاً تقريباً للكلمات الاجتماعية والإنسانية من منظور المجتمع ، حيث يصبح "المسؤول الاجتماعي" موظفاً مدنياً لـ "الإنسانية"، و بالتالي يصبح مندمج في علاقات الطاعة والواجب والالتزام المتفق عليه، هناك فقط واجبات وليست حقوق ،و الشخصية ليست حرية فردية ، يتم استيعابها في التواصل الاجتماعي.

أنثروبولوجيا "كونت" هي اجتماعية ، وهي محكومة بفكرة النظام العلمي الذي تنتجه الإنسانية ، والنظام الجماعي الذي يفرضه المجتمع، ومع ذلك ، يجب على الفرد أن يدرك نفسه في علاقته مع المجتمع ، ويجب أن يشعر برابط من الانسجام والالتزام بمساهمة مجتمعه والإنسانية.

تُظهر الوضعية أن العلم يبدأ من حقائق يمكن ملاحظتها و هي محددة بالنسبة للمراقب، لأنّ أي ظاهرة "تكون دائماً من علاقة محددة بين كائن وموضوع" 1820 *Système de politique Positive*

حدد كونت العلم الوضعي بقوله: " في حين أنه من الصحيح أن العلم يصبح إيجابياً فقط من خلال الاعتماد حصرياً على الحقائق المرصودة "(كونت ، 1851 ، ص 439).

و بهذا شكل، في عام 1880 ، كانت الحالات الثلاثة للفكر في المنهج العلمي هي: راقب ، افترض تحقق. يتم تقديم التفكير الوضعي كفلسفة علمية و يتبنى ملامحها من "مبادئ ديكرت واكتشافات غاليليو ومبادئ بيكون": "يجب إبلاغ "بيكون" بالوقت الذي بدأت فيه (العلوم) تصبح وضعية حقاً ،وهو الذي أعطى أول إشارة لهذه الثورة العظيمة. إلى غاليليو معاصره ، الذي أعطى المثال الأول ، وأخيراً إلى ديكرت ، الذي دمر في أذهان الناس بشكل لا رجعة فيه نير السلطة في الأمور العلمية، عندئذ وُلدت الفلسفة الطبيعية وأصبح للقدرة العلمية طابعها الحقيقي ، أي عنصر روحي لنظام اجتماعي جديد "(كونت ، 1854 ، ص 32). تتطلب الحياة الاجتماعية تنظيمًا فكريًا وأخلاقيًا ، أي وجود "روحي" ، قوة روحية تشكل أحد العناصر الرئيسة لمفهوم "كونت" السياسي ،والتي ستكون شكلاً من أشكال الدين.

لقد مرّ تاريخ بحالات ثلاث مراحل رئيسية تشبه العديد من الطرق المتعاقبة في التفكير والشعور والتصرف، و تمثل هذه الموضوعات العهود العظيمة في تطور البشرية. لقد مرت هذه الأخيرة أولاً بمرحلة "لاهوتية" تتكون من الإيمان بوجود عوامل مختلفة تتمتع بإرادة وقوى مقصودة تتدخل في حياة البشر، وهذه العوامل ، سواء كانت جوهرية أو متجاوزة ، تجعل من الممكن شرح مسار الأحداث ، سواء أكانت طبيعية أو بشرية، ويعتبر كونت إلى دين الإنسانية كمطلب عقائدي ضروري لتشكيل سياسة وضعية.

يطرح "أوجست كونت" سؤالاً اجتماعياً وتاريخياً وسياسياً كبيراً يتعلق بمسألة التقدم والنظام، من خلاله ستكون الفلسفة الوضعية قد تطورت و أخذت في الاعتبار جميع أبعاد وجودنا: الفكرية والعاطفية و الفعلية. النظام الاجتماعي l'ordre social هو تعبير عن توليف ذاتي ينتقل من الداخل إلى الخارج فالقلب الذي بداخله سيحكم العقل ،ويعمل التقدم على تحسين طبيعتنا ووجودنا.

يقول "كونت" إنّ التقدم يتبع النظام دائماً، إنه التاريخ الذي يفرض الدين، إنها les Cinq Républiques Occidentales في أزمة، والعلاقات الدولية تهيمن عليها الفوضى. يقول "كونت"

إن النظام فوضوي والتقدم رجعي، وينوّه بالطابع غير المستقر للمجتمعات والعلاقات الدولية، حيث يسود الغزو والهيمنة الاستعمارية والمصائب،

لجوء كونت إلى دين الإنسانية نابع من رفضه لما يسميه "خفض مرتبة الملكية" *rétrogradation* «  
monarchique».

النظام الملكي مرتبط باللاهوت العدائي، فهو لا يستمع إلى الناس ويفرض حكمًا وامتيازات الأسرة بالقوة، والهيمنة بالحرب، من ناحية أخرى، يختار كونت نظامًا جمهوريًا قائمًا على منح حق الاقتراع العام، تتخلى السلطة من خلاله عن امتيازات العائلات ولها وجهة شعبية وتحاول التوفيق بين الحرية والقوة. إنه يحاول إقامة "جمهورية دكتاتورية": "يوفر الديكتاتور فيها أفضل نموذج للسياسة الحديثة، حيث يوفق، ويتبع رغبة هوبز، بين السلطة والحرية" (كونت، 1851، ص 583).

يذكر كونت أن مصطلح الديكتاتورية ليس "طغيانًا": "يأخذ كونت معنى الكلمة كما تفرضه المرأة الرومانية" لاستخدام تعبير "كلود نيكوليه"، وبالنسبة له، فإن الديكتاتورية تتوافق مع قوة قوية وعادلة في نفس الوقت.... الديكتاتورية بالنسبة له التوفيق بين السلطة والعفوية (Frick، 1990، ص 194).

لم تعد السياسة الوضعية بعد عام 1848 علمًا للتنبؤ بالحروب، لأن الدرجة الأخيرة من التعقيد لا تزال غير معروفة لنا لأن السياسة هي سلطة حكم مؤقتة في زمن الأزمات وخفض رتبته بهدف إعادة تنظيم المجتمع باسم المجتمع بأسره ونظامه وتقدمه.

ومن خلال *Discours sur l'ensemble du positivisme*، يعرف كونت السياسة كوجهة، بل إنها قوة تنفيذية لإعادة بناء النظام الاجتماعي المحطم داخليًا، كإقامة الحفلات وتنظيمها وتنفيذ مشاريع التثقيف العام وتنظيم الخدمات والعبادة، ولكن أيضًا تقييد الملكية وإعادة تعديل العلاقات بين العدد والقوة المادية هي أهداف السياسة، لهذا يتعلق الأمر بإدارة المجتمع بقيمه وتطلعات أسرته، وليس بقليل من الأفراد.

ووفقًا لكونت، فإن النظام السياسي الجمهوري هو اجتماعي، والقوة الروحية والفلسفية هي التي ستشكل نفسها "كقوة لتنظيم الرأي العام" (كونت، 1848، ص 136). إنها فلسفة أخلاقية في الأساس تدعو إلى

تعاون ، والتضامن ، والإيثار والتبجيل من مساهمة الإنسانية والتواصل الاجتماعي كشرط للتوازن النفسي الفسيولوجي للأفراد.

تبدو القوة وحدها في السياسة ليست كافية، فالحكومة، وهي مثال على التماسك الاجتماعي، تهدف إلى توحيد الجهود وبالتالي "التنافس والقيادة" (كونت، 1851، ص.295). تحتاج إلى تكملة فكرية ، و الثقافة الفكرية تجاه الماضي والمستقبل ، والعلوم والتقاليد ، ولكن أيضاً التأثير الأخلاقي لتوجيهها نحو وجهة اجتماعية يحكمها الصالح العام، : "دعونا لا ننسى ، في الواقع ، أن الصعود السياسي ينتج ... من أكثر أو المنافسة الطوعية الأقل ، علاوة على ذلك ، النشطة أو السلبية ، عرضة باستمرار للانكسار عندما يصبح الانسجام العاطفي غير كافٍ" (كونت، 1851، ص.302).

فلسفة كونت الأخلاقية هي فلسفة النظام من أجل التقدم، حيث دور كل من الهيئات الأخلاقية والفكرية هو تنظيم العقول، وحشد القلوب باسم الإنسانية بإسهامها العلمي وإبداعها بما في ذلك خلق الرغبة في الخضوع أو النظام، وأمر الخضوع والهيمنة المقبولة والمتناغمة، وليس الإساءة السياسية.

الرأي l'opinion يعني أيضاً التماسك بين الفردية والتواصل بين صاحب السيادة والشعب بوساطة الموافقة والخضوع الحر، وتهدف فلسفة النظام هذه التي تحكمها السياسة وتديرها القوة الروحية إلى التجانس الفكري والأخلاقي والعملية بهدف السعي لتحقيق السعادة الفردية والاجتماعية والعالمية الخاضعة للصالح العام ، وهو الكرامة الإنسانية والأخوة العالمية.

يشير كونت إلى أفكار تنظيم الفكر ، إلى ضرورة حشد المشاعر بهدف ضمان توافق عالمي للإنسانية، إنها تلجأ إلى فلسفة النظام الديني ، وهو دين للإنسانية يظهر ولم يزل. يأتي مصطلح الدين مع "كونت" من معناه الأولي ، إذ الغرض منه هو تنظيم العقول و الأفراد ، بدون نظام كوني ومن خلال الانضباط والتقدير لنظام كوني والإنجازات الأخلاقية لرجال عظماء التي ندين لها بالحب والاحترام، إنه يقوم على فكر نظام مفتوح للأبعاد الكونية ويضاف إلى السياسات المحلية والدولية. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الدين كفكر بين النظري والتطبيقي للبشر تحت تأثير قوة عليا نطيعها ، يتدخلون في نفس المفاهيم التقليدية التي تحدد الدين، وهذا يشمل العقيدة والإيمان والعبادة.

يؤمن كونت فلسفيًا أن كل إنسان في هذه الأزمنة الحديثة يحتاج إلى الدين أو الحب والإيمان والأمل، فيقول: "العقل المنهجي يجعل الشروط الأساسية الثلاثة للوجود الاجتماعي، الحب، والإيمان، والأمل، هي المادة الأساسية لكل إنسان" (كونت، 1851، ص 70). ينظم الدين أولاً الأعراف، ويعزز التركيب الذاتي الذي ينتقل من الداخل إلى الخارج. إنها، أي الأعراف تضع الحب كمبدأ، والحب هو حنان حيوي، إثارة، وهبة بدون عودة تسمح للفرد بالتجمع مع نفسه ومع الآخرين، ولكنه أيضًا مبدأ عالمي للأخوة الشاملة. يتشكل الدين أيضًا من العقيدة التي تشكل المساهمة العلمية للبشرية جمعاء، والتي يحددها كونت أيضًا باسم الإيمان الذي يلجأ إليه الحب كمصدر خارجي لتوطيد نفسه، فيظل بذلك الدين مطلب أخلاقي ترعاه فكرة النظام في الطبيعة التي تم تأسيسها بالفعل، كما تهدف الأخلاق الدينية القائمة على الإثارة إلى ربط العقيدة التي شكلتها العلوم بنهاية ذاتية أو إنسانية، فهي تهيمن على العلوم وتحتاج إليها.

مجال الحب "يتفاعل بعمق مع مجال الإيمان من أجل إعادته باستمرار إلى وجهته الذاتية التي تميل طبيعتها الموضوعية إلى تنحيتها جانبًا" (كونت، 1851، ص 7). وتشكل العقيدة الجزء الفكري للدين، وهذا هو ما تتجمع به العقول، "...و تتكون من تحديد النظام الخارجي بأكمله الذي تخضع وحدتنا له بالضرورة ... يجب تقدير هذا الاقتصاد الطبيعي أولاً باعتباره علميًا كونيًا، ثم بيولوجيًا وأخيرًا اجتماعيًا" (كونت، 1851، ص 20).

إن دور العقيدة هو ضبط العقل، وللاشارة يستخدم كونت مصطلحات الإيمان والعقيدة كمعادلات، فالإيمان هو مجموعة الوفيات العلمية التي يجب أن نخضع لها (الفلكية والبيولوجية والاجتماعية)، ولكن شرط أن تكون مصحوبة بالاعتقاد الذي هو ذكاء أو برهان، وهذا يقنعنا بضرورة خضوعنا للقوة العليا التي تنتج هذه العقيدة، والتي هي الإنسانية.

الإيمان هو اقتناع فكري يتفوق الإنسانية على أنها منتجة للعقيدة، فيكتمل الدين من خلال جانبه الأخلاقي الذي يهيمن عليه الحب، وفي هذه الحال يتحلل إلى عبادة تحكم الحياة الداخلية، وإلى نظام يأمر بالتصرف أو الأفعال. يصاحب دين الإنسانية أيضًا عبادة: "كل دين يصنع عبادة" (كونت، 1851، ص 21) ترضي قوى الظلام من خلال الصلوات والتضحيات والأفعال.

العبادة جزء من الشطر الأخلاقي من الدين المرتبط بالحياة الداخلية للأفراد، فيتم تحرير الحب كمبدأ أخلاقي في المجتمع من خلال الاحتفالات، والأعياد والأسرار المقدسة المخصصة للنساء والرجال العظماء، والتي تسمح للفرد بأن يجد نفسه "مرتبطاً بالداخل والخارج"، من خلال التقارب الكامل لمشاعره وأفكاره تجاه السلطة العليا التي تحددها الإجراءات "(كونت، 1851، ص 18).

النظام يهتم بالعالم الخارجي أو بالأفعال، و يحدد السلوك والسياسة من خلال الحب الذي ينظم "السلوك الخاص والعالم" (كونت، 1851، p.7)، و الحب بدوره يثير المودة والشعور بالتضامن من خلال السيطرة على البعض، وعلى البعض الآخر.

إنّ المبدأ العام للدين الوضعي هو الذي يصوغ الثقافة والتعليم، وبالتالي المشاعر والإرادة عندما ينصرف على الطوائف، فهو يحكم السياسة، ويعمل من خلال فرض العدل والإيثار، فلهذا هو بحاجة إلى العلم، وبالتالي العقيدة، لتعليم وتعزيز الإيمان بالإنسانية، يقول كونت: "الحب يبحث عن النظام ويدفع من أجل التقدم؛ النظام يوطد الحب ويوجه التقدم" (كونت، 1851، ص 67).

يتطلب علم الإنسان حسب كونت، و كما أشار "كانغويلهم"، كبحاً للعفوية، وهذا العلم: و ذلك "للسماح للإنسان بتوازن جديد مع العالم، وشكل جديد وتنظيم جديد لحياته" (كانغويلهم، 1965)، وهو مفهوم يضيف مساهمة نظرية اجتماعية وفسولوجية واضحة، تحدد القوانين اللازمة لتحقيق التوازن بين الروابط الفردية والجماعية والاجتماعية والعالمية، حيث تتدخل العقلانيات الخارجية الأخلاقية والاجتماعية و الفسولوجية لعكس الروابط بين البشر، و انطلاقاً من موقع الفرد في علاقته بالمجتمع والثقافة والإنسانية يتم تشكيل مجال هذه الإيجابيات. تؤكد نظرية دين الإنسانية ظهور الإنسان في عينيهِ، فال بشرية هي التي يجب تبجيلها وتقديسها، بحسب كونت، و هذا هو السبب حمل "كونت" على إلحاق التبجيل و نسبه إلى الإنسانية.

يتسم موضوع الدين وفقاً لكونت بالانسجام المتأصل في الوجود البشري، الجماعي والفردية، وهذه هي الطريقة التي يتعامل بها الدين مع كل من المنطق والشعور، فكل منهما أسس وحدة، فردية أو جماعية في الواقع، و وفقاً له أيضاً، فإن موضوع الدين هو الإنسانية، التي تظهر عظمتها وتفوقها في مواجهة عدم



استقرار مجرى الحياة ،لذلك يحتاج الرجال إلى اللجوء إلى العناية الإلهية ، والتي يجب أن تكون غير العناية بالرجل، بل يجب على الإنسان أن يؤمن بالإنسان وبمساهمة الإنسانية ككل.

في الدين الوضعي ، هناك نوع من اللعبة الديالكتيكية لرفض اللاهوت العدواني وولادة "إله جديد" ، كما يقول "بيير أرنو" ، تشكلت من قبل الإنسانية في الماضي والحاضر والمجيء والمتطور في النظام والتقدم العالمي، فيأتي دين الإنسانية كقرار لإعادة التفكير في الإيمان ، وتبجيلاً من فكرة تاريخية الحدود ، كذا والإيثار ، وهو قرار فلسفي لقلب مكانه المطلق والتغلب على الفوضى ، وكشف الإنسان لنفسه.

يتجلى تعبير الإنسانية لأول مرة ، وفقاً لكونت ، في Discours sur l'esprit positif (1844)، حيث في هذا النص، يشير إلى الوحدة العقلية والعاطفية لجميع الرجال بقوله : "يمكننا بالتالي أن نرى كيف يجب أن تشكل الفكرة السائدة للإنسانية بالضرورة ، في الحالة الإيجابية ، تنظيمًا عقليًا كاملاً ، على الأقل يعادل ذلك الذي كان للعصر اللاهوتي، و تم تضمينه أخيراً وفقاً للمفهوم العظيم عن الله ، لذلك تم استبداله قليلاً ، في هذا الصدد ، أثناء الانتقال الميتافيزيقي بفكر الطبيعة الغامض " (كونت ، 1844 ، ص 92).

هذا المفهوم بحد ذاته معياري هو تعبير عن التنظيم العقلي والعاطفي الناجم عن الحاجة إلى نظام اجتماعي، حيث أن الحرب والاستعمار هما اللذان يسيطران على الحالة الوضعية. سيكون التوليف الفلسفي لنظام ديني يدعو إلى التحرر الشامل الذي يضيف بعد دراسة الإنسانية حسب كونت إلى "إظهار الحقيقة والحتمية" . (أرنو ، 1973، ص 212) الذي يجد جذوره في نظريته الاجتماعية و الأنثروبولوجية التي تتدخل فيها المكونات المتعلقة بالجسدية والمعنوية ، ولذلك فإن علم الأحياء على أنه "تناسق لا يتزعزع" ، عامل أساسي للدين الوضعي ، فحسبه الإنسانية هي مجموعة البشر في الماضي والحاضر والمستقبل (كونت ، 1854 ، ص 30).

ليس كل إنسان بالمعنى المادي للمصطلح ، ولكن كل أولئك الذين تعاونوا أو تعاونوا على تحسين الوجود المشترك، حيث نلمس في نظرية كونت شكلاً من أشكال "التماسك" الاجتماعي ، الذي يتجلى في الإنسانية بفضل البعد المزدوج لعمل الفرد ، أحياناً مادي ، وأحياناً روحي إذ تسمح هذه الوحدة بفعالية لكونت بإلقاء

نظرة على الإنسانية المدرجة بالكامل في التاريخ ، بينما يظل الفرد في الوقت الحاضر يمثل هذا الجدل الاجتماعي ، الفردي / الجماعي ، لكونت ، في الواقع ، نموذجًا جديدًا ، حتى إعادة تعريف المجتمع ، هذه المرة على أساس المجتمع.

السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا هذا الاستطرد لفكر لكونت تجاه الدين في نهاية عمله Discours sur l'ensemble du positivisme et le Système؟ هذا لأن اللاهوت يستمر في الحالة الوضعية، فيتميز بالعناية الإلهية والمواقف المقاومة للتضامن والإيثار من بعض القادة السياسيين والصناعيين الذين كرسوا الهيمنة والظلم من خلال إنشاء الاستعمار.

تكمّن الإجابة في الصفحات الأخيرة من Discours sur l'ensemble du positivisme فنلمس أمرين أحدهما رجعي وفوضوي، والآخر تقدمي ومكرس للإنسانية من خلاله تجد الإنسانية نوعًا من التفكير المنظم ، فلسفة le ralliement الأفكار والمشاعر تحت تأثير قوة محترمة ليست إلهية بل هي إنسانية، ثم يشير إلى الانحدار إلى الملكية واللاهوت: "أكثر علماء اللاهوت نشاطا سواء أكانوا ملكيين أم أرستقراطيين أو حتى ديمقراطيين ، افتقروا إلى حسن النية منذ فترة طويلة" (كونت ، 1848 ، ص 419). يتطلب le ralliement الذي يثيره الإيمان بقوة لخلق النظام في الطبيعة ، وبالتالي في الوجود: "من ناحية ، يجب أن يجعلنا الذكاء نتصور قوة كافية في الخارج متفوقة ، بحيث يجب أن يكون وجودنا دائمًا تابعًا لها، ولكن من ناحية أخرى ، من الضروري أن تكون متحرّكًا داخليًا بمودة قادرة عادةً على le ralliement كل الآخرين" (كونت ، 1851 ، ص 11).

يُظهر التاريخ الاجتماعي أنه حتى المجتمعات الصناعية تحتاج إلى الدين، حيث تسود المعرفة العلمية ، ومن ثم يتولد من جديد اللاهوت الحربي والانتقامي، ويخبرنا كونت عن النظام السياسي أن الرجال كأفراد يحتاجون إلى التنظيم ، أي التكيف العاطفي والفكري لإنسانيتهم مع الإنسانية جمعاء، فيقول إن الحالة التركيبية للدين "تتكون ، أحيانًا من تنظيم كل وجود شخصي ، وأحيانًا في حشد الأفراد المختلفين" (كونت ، 1851 ، ص 9) ، فإنه le ralliement دون تنظيم.

الأفراد هناك يصبحون طغاة، فقط الدين الوضعي يمكن أن يضمن التوافق الكامل لهاتين المقدرتين الدينيتين، فيحتاج البشر إلى التصالح مع مساهمة الإنسانية في العلم ، والعبقورية في التضحيات والمشاركة من خلال التأمل الفكري والتأمل الذاتي في مساهمة الإنسانية من خلال التعليم والمثالية الجمالية والتبجيل الأخلاقي.

إن مفهوم الإنسانية سيحل محل مفهوم "الله"، فتظهر العبادة كنتيجة لتعليم علمي وجمالي تساعد الحاجة إلى الخضوع الأعمى للسلطة الملكية. يستبدل كونت الخضوع المستنير لإلوهية حقيقية ومفهومة ويأخذ العلم طابعاً مقدساً حقاً: "سيأخذ العلم من الآن فصاعداً طابعاً مقدساً حقاً ، كأساس منهجي للعبادة الشاملة" (كونت ، 1848 ، ص 361)، وفي هذه الحالة ستكون العلاقة بالإنسانية علاقة انسجام وتكريس بالنسبة لكونت ، ومن أجل تكوين انسجام كامل ودائم ، من الضروري "ربط الداخل بالحب وربطه بالخارج بالقانون" (كونت ، 1852 ، ص 62) ، حيث يخلق الدين رابطة داخلية بالمعنى المزدوج لتوحيد الكليات البشرية في كل فرد ، وتوحيد الأفراد داخل نفس المجتمع. وتتحقق هذه الوحدة الداخلية من خلال "ربط" الأفراد والمجتمع بأسره بمبدئها التنظيمي، فيتجه الإنسان إلى تكوين "مجتمع نشط من الحب والإيمان"، مجتمع قائم على تقاسم نفس المشاعر والآراء.

يتجلى دين الإنسانية، حسب كونت بأن الإيمان بالله في تعبيره الكاثوليكي هو الذي يمنح في الأخير المعيار الممكن للدين العالمي الذي من شأنه حشد التفكير والشعور والعمل من أجل ضمان سعادة الإنسان. ووفقاً لكونت، فإن الدين الوضعي مؤسس عقلائياً أو مؤسس فلسفياً؛ كما أنه يستجيب للحاجة إلى النظام والعدالة، وإن الفلسفة الوضعية الشاملة الهادفة إلى سعادة كل البشر تبرهن على أنها ضرورة. لم تعد قوة التدخل العليا هي الله في هذه الحالة، بل الإنسانية. يفهم هذا الأخير على أنه العناية الإلهية والتضامن والاستمرارية.

الفلسفة الوضعية التي أصبحت في النظام فلسفة أخلاقية في الأساس، أو فلسفة لكل الوجود هي فلسفة أنثروبولوجية أهدافها كونية، الإنسان ينتمي إلى العالم ، وبالعودة ، فإن ما ينتمي للإنسانية الذي يغير العالم يجب أن ينتمي إليه، و يجب أن يشعر الجميع بالانسجام مع أنفسهم ومع مجتمعهم ومع الإنسانية.

الفلسفة الوضعية بحاجة إلى الدين، ويتمثل دورها في ترسيخ الوحدة البشرية بأبعادها الثلاثة: الحب والتفكير والعمل، و الدين قادر على الجمع بين هذه الجوانب الثلاثة للحياة البشرية في بعدها العالمي، هذه العلمية والجمالية والعملية. سيجعل الدين من الممكن التوليف الشامل الذي ترمي إليه الفلسفة ؛ "إنه ينظم دراسة الحقيقة ، ثم يمثل غريزة الجمال: وأخيرًا يحقق إنجاز الخير" (كونت، 1851، ص 67).

تطرح فلسفة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مسألة الدين كضرورة فلسفية، إذ يتطلب التفكير في المشاكل العلمية والجمالية والأخلاقية للرجل انعكاسًا فكريًا ، وكشفًا عن الإنسان لنفسه ، ووحياً جديداً يسميه "دريدا" في الإيمان والمعرفة قابلية الوحي (دريدا ، 2000 ، ص 26).

يخبرنا "كانط" و "هيجل" و "كونت" أنه يمكننا أن نؤسس فلسفة نقدية للتاريخ والعلم من خلال تحديد المعالم الضرورية لإعادة التملك من قبل الإنسان ، وضمن حدوده الخاصة لمجالات العناية الإلهية والمطلق والمقدس والعدالة في الواقع ، و يدعو كونت إلى جعل النسبي تعبيراً عن كل شيء مطلق، وأن هيجل يُدخل المطلق الديني في التاريخ ، وذلك للتعبير عن قلق الفيلسوف الذي تخلّى عنه الله، وإعادة تخصيص اللامحدود للنظام في الطبيعة والسعادة في العالمية، وعدم القدرة على السيطرة الكاملة على هذه الأنظمة يتطلب إيماناً جديداً ، إيمان الإنسان بشخصيته المطلقة ، أو بإله جديد سيكون إنسانياً.

يخبرنا كونت أن العناية اللاهوتية تعود، اللاهوت في طريقه لإحباط الاضطرابات الثورية العالمية التي تحمل قيم تحرر الجميع ، وأيضاً للبشرية جمعاء من خلال تدمير الامتيازات العائلية.

لا تؤسس العناية الإلهية التماسك الاجتماعي ، فالحالة اللاهوتية تشبه الحرب ، والإنجازات التي تحققت فيها لا تتفق مع الفكر ، والأخيرة لا تساعد على العمل في تماسك وانسجام ، واللاهوت العدواني يولد الاستبداد والضييق.

أتى التعليم الوضعي لعام 1852 في وقت مبكر نسبياً في عمل كونت بتوليف دقيق للوضعية المتكاملة التي تركز على الدين النظري والعملية والعقيدة والعبادة والنظام. تحمل خاتمة التعليم المسيحي عنوان التاريخ العام للدين ، وهذا التاريخ العام هو في الواقع عرض اجتماعي للتاريخ يتمحور حول المراحل الدينية الرئيسية ، والفاشية الشيوعية ، الخ.

بالنسبة للعناية اللاهوتية التي عادت للظهور بعد الثورة، يجب على المرء أن يحل محل الإيمان العقلاني بسيادة الإنسانية، وأن يخضع لها. يحتاج الإنسان إلى ملاذ أسمى ، ملاذ آخر للعناية الإلهية ، للثقافة الإنسانية في استمراريتها ، لما هو أجمل وعبقري في الإنسانية: "العناية الإلهية ، لا." ليست تلك القوة العليا " (أرنو ، 1973 ، ص 370).

الإنسان هو هذا "الكائن الكلي" Gand-Être الذي ينتمي أكثر الكائنات الحية، يجب أن يحكم العالم وشرور الظلم في العالم، فهو عنايته، لأن هذا الحب والإيمان والرجاء هما خلاصه. يتجمع الإيمان اللاهوتي دون تسوية ، ويترك مجالاً للعنف والحرب واليأس ، والإيمان الوضعي وحده هو الذي يوفق الإنسان مع بعده الكوني كفرد أقرب إلى كنيسة الوضعية و un sacerdote إلى الإنسانية، لهذا يحتاج الإنسان إلى الإيمان بنفسه وبمساهمة الرجال العظماء ، ويحتاج إلى تنشيط غرائزه المتعاطفة للتضامن وطاعة الاتحاد وحماية المحبة والشعور بالحب ، ولكنه يحتاج أيضاً إلى المثالية أو الإسقاط أو التقدم.

هذه العناصر المكونة للحياة الاجتماعية تتغير في أوقات الأزمات على المستوى الجماعي والعام والفردى. إن إحياء اللاهوت ما بعد الثورة يؤسس الفوضى وعدم الفهم بين الرجال ، والاستعمار و "الفضائع" ، على المستوى الفردى ، يتم إحباط الأمل بسبب الافتقار إلى عقلانية الفعل، يقف الرجال متضامنين مع بعضهم البعض ، ويؤمنون بقدرتهم على السيطرة على العالم، ويأملون في تحقيق آمالهم والعمل، وإلا فإن اليأس هو الذي يسيطر والموت. الحياة إيمان وحب. "خلافاً على ذلك ، فإن الميل المتكرر نحو اليأس الخاص أو العام ، خاصة في هذه الحالات الاستثنائية ، يؤكد على مدى لا يمكن الاستغناء عن الحب والإيمان" (كونت ، 1851 ، ص 70).

إن تقوية الحب الفردى أو العالمى كأخوة عالمية والمعرفة، أو النظام العقلاني وتبجيل الرجال العظماء يثير الأمل والقدرة على الفعل والتصرف، و يكرس كونت للعظماء ( Moise, Mahomet, Saint Paul, Copernic, Galilée et Newton)، وتحديث وقت الإنسان من خلال اختراع تقويم وضعي. "التقويم الوضعي"، يهدف التقويم إلى دمج الحياة اليومية وعلم الاجتماع في المثالية الانتقائية ليس فقط للمساهمة العلمية، ولكن أيضاً الأخلاقية والحضارية.

في المجلدات الأربعة من *Système de politique positive* (1851-1854)، شرح كونت ديانتة للإنسانية، والتي تطمح إلى تشجيع السلوك الإيجابي تجاه المجتمع، و ترجع أهمية كونت بشكل أساسي إلى الدور الذي لعبه في التطور التاريخي للوضعية. بالنسبة لكونت، ترتبط الوضعية بظهور عصر العلم الذي هو أساس نظرية المعرفة الوضعية وخاصة الحالة الوضعية أو العلمية التي تنجح في "قانون الحالات الثلاث" إلى الحالة اللاهوتية أو الوهمية و حالة ميتافيزيقية أو مجردة. في هذه الحالة، يؤكد كونت في عمله عام 1844 *Discours sur l'esprit positif* أنه: "يتكون العلم حقًا في قوانين الظواهر" (كونت، 1844، ص 15). بالنسبة لأوجيست كونت، العلم هو العلم فقط من خلال فائدة ممارسته وتأثيره الاجتماعي، ودور كل العلوم هو التنبؤ، وكل أهداف التنبؤ تهدف إلى العمل.

تهدف فلسفة العلم إلى أن تكون وحدوية، ولكنها أيضًا منهجية، هدفها هو إيجاد طرق التنظيم من وجهة نظر الطريقة بين جميع مجالات المعرفة، وتتطلب الطريقة انتشار الملاحظة، والسيطرة على الخيال وإخضاع الداخل إلى الخارج وبدائل لمعرفة أسباب القوانين، وبالتالي تفضيل التنبؤات: "باختصار علم" أين التبصر؛ التبصر، ومن ثم العمل " (كونت، 1830، ص 45)، لذلك لا يوجد علم إلا من خلال العمل والفعل: "علم العمل وعلم العمل مستنير بالنظرية، لأنه إذا لم يكن هناك علم سوى البصيرة، وإذا توقعنا فقط لكي نكون قادرين، فذلك لأن الملاحظة العلمية والاستنتاج يعطينا مفتاح تسلسل الظواهر" (أرنو، 1969، ص 116).

هذا هو السبب في أن المعيار الأسمى للوضعية هو التنبؤ بوضوح، وهو ليس سوى الفعل: "تتضمن فكرة التنبؤ بالفعل جانبين: لا يوجد اتصال مباشر بين العلم والعمل، حيث أن محرر التنبؤ يتدخل بينهم، وذلك لتشكيل النظرية والممارسة كطريقتين متميزتين (...)"، ولكن للتفكير في مقطع بين هذين الأمرين مختلفين، ولكن غير منفصلين " (ماتشير، 1993، ص 85).

يقلل كونت التجريبي لصالح العقلاني في الواقع، العلم الحقيقي، الذي يُحكم عليه وفقًا لهذا التنبؤ العقلاني، والذي يميز تفوقه الرئيسي: "إن توقع كل شيء دون رؤية أي شيء يمكن أن يشكل فقط يوتوبيا ميتافيزيقية سخيفة، لا يزال من الصعب إتباعها" (كونت، 1831، ص 439). والمفيد وفقًا للعد، تحكمه ثنائية

النظرية العملية ، ولكن أيضاً بالحاجة إلى منفعة تقنية ، أي سيطرة العالم والجسد والمجتمع من أجل سعادة الرجال ؛ و الوساطة من خلال التمكن من الأشياء ضرورية ، إنها إتقان علمي ، وتقني للعالم من أجل سعادة البشرية.

تؤكد نظرية دين الإنسانية ظهور الإنسان في شخصه ، ويجب تبجيل الإنسانية وتقديسها، هذا هو السبب في أن كونت أراد أن ينسب التبجيل إلى الإنسانية. يتسم موضوع الدين وفقاً لكونت بالانسجام المتأصل في الوجود البشري، الجماعي والفردى، وهذه هي الطريقة التي يتعامل بها الدين مع كل من المنطق والشعور ، فكل منهما أسس وحدة ، فردية أو جماعية بشكل عام .

وتبعاً لكونت، هدف الدين هو الإنسانية، التي تظهر عظمتها وتفوقها في مواجهة عدم استقرار مسار الحياة ، يحتاج الرجال إلى اللجوء إلى العناية الإلهية ، والتي يجب أن تكون غير عناية رجل، يجب على الإنسان أن يؤمن بالإنسان ومساهمة الإنسانية ككل.

#### خاتمة

تبعاً لكونت، كل الوجود الإنساني الفردي والجماعي موجود في نفس الوقت في ثلاثة أواخر للظواهر التي تميزه: الأفكار والمشاعر والعقل معتقداً أن التطور الفردي والاجتماعي يتكون من نمو العقل الذي يعمل على العواطف ، وكذلك في جميع المشاعر التي تحركها الأفكار، ولكن منذ عام 1848 أعطى أهمية كبيرة للمشاعر، حيث ستكون الفلسفة أخلاقية قبل كل شيء وستتطلب الحب كمبدأ.

مهما كان من أهمية هذا البحث فإن من المؤكد أنه مجرد استمرار لخرج يقتضي رصد دواعي التباسه. لكن هذا المبحث أليس قريب منا وإن كان أتى من بعيد... هو مبحث يسأل الكيان و العقل بل هو انصهار كلي بما في واقعنا من تردى للوضع الأخلاقي و الاجتماعي بالبلاد العربية في وقتها الراهن، ألسنا بحاجة إلى مراجعة نقدية؟ ألم يحن الوقت لنفكر في أخلاق ونبدع أخلاق خارج أخلاق الخير والشر من شأنها أن تجعلنا نختفل بالحياة؟

#### المراجع:

\* Arnaud, Pierre. (1973). Le « Nouveau Dieu », préliminaire à la politique positive, Paris, Vrin.

- \* Arnaud, Pierre. (1978). Du pouvoir spirituel, Livre de Poche, « Pluriel ».
- \* Arnaud, Pierre. (1969). La pensée d'Auguste Comte, Bordas, Paris.
- \* Ben Saïd Cherni, Zeineb. (2005). Auguste Comte, postérité épistémologique et ralliement des nations, L'Harmattan.
- \* Ben Saïd Cherni, Zeineb. (2001). La loi des trois états d'Auguste Comte et sa double réduction, Centre de Publication Universitaire.
- \* Boudreau, Michel. (2005). Théorie générale de la religion Auguste Comte, Edi., MILLE. Et. UNE NUITS.
- \* Bourdeau, Michel. (2006). Les trois états : science, théologie et métaphysique chez Auguste Comte, Cerf.
- \* Comte, Auguste. (1819-1828). Opuscules de philosophie sociale, Écrits de Jeunesse ; série d'articles et de travaux publiés par Comte, édition Ernest Leroux, 1883. Nous citons d'après cette édition :
  - « Plan des travaux scientifiques nécessaires pour réorganiser la société » (1822).
  - « Considérations philosophiques sur les sciences les savants » (1826).
  - « Considérations sur le pouvoir spirituel » (1826).
- \* Comte, Auguste. (1830-1842). Cours de philosophie positive, il existe actuellement deux éditions complètes :
  - Éditions Anthropos, Paris, 1968, Œuvres, Reproduisant l'édition Pierre Laffitte (1894) qui était elle même « identique à la première » Introduction par Sylvain Périgon. Le **Cours** occupe les six premiers volumes de ces Œuvres.
  - Éditions Hermann, Paris, 1975, édition séparée du Cours seul, présentée en deux volumes que les éditeurs ont intitulé respectivement volume I, **Philosophie première**. Volume II, **Physique sociale**, présentation et notes par Michel Serres, François Dagognet, Allal Sinaceur, Jean-Paul Enthoven.
- \* Comte, Auguste. (1844). Discours sur l'esprit positif. Vrin, Paris, 1995.
- \* Comte, Auguste. (1848). Discours sur l'ensemble du positivisme, Introduit par Annie Petit, Fondation de la Société positiviste, Garnier Flammarion (GF), Paris, 1999.
- \* Comte, Auguste. (1851-1854). Système de politique positive ou Traité de sociologie instituant la religion de l'Humanité, Mathias, Carilian-Goeury et



V. Dalmont, Paris, quatre vol.in 8- cité d'après la cinquième édition identique à la première. Au siège de la Société positiviste, Paris, 1929. (SPP, I, II, III, IV).

\* Comte, Auguste. (1852). Catéchisme positiviste ou Sommaire Exposition de la religion universelle en onze entretiens systématiques entre une femme et un prêtre de l'Humanité, Garnier Flammarion, introduction de Pierre Arnauld, Paris, 1966.

\* Comte, Auguste. (1856). Synthèse subjective ou Système universel des conceptions propres à l'état normal de l'humanité, chez l'auteur et Dalmont Libraire, novembre 1856, Paris cité dans la réimpression anastatique de l'édition Anthropos, Paris, 1971. Et nouvelle édition de Fayard, Paris, 2000.

\* Gouhier, Henri. (2002). Le Vocabulaire de Comte, ellipses, Paris.